

اسهامات المنهج التاريخي و النظرية الوظيفية في التنمية السياحية

Contributions to the historical approach and structural functional theory
in tourism development

دراسة نظرية تحليلية في سوسيولوجيا السياحة

A theoretical study in the sociology of tourism

د. عالية بشيرة^(*)

الملخص باللغة العربية:

في الحقيقة إن ظاهرة السياحة عبارة عن سلسلة يترابط فيها الماضي والحاضر وصولاً إلى المستقبل (التنمية السياحية). وهذه السلسلة المتشابكة والمعقدة تدور فيها الكثير من الظواهر الاجتماعية والتاريخية، فهي تتميز بأنها بنائية وظيفية، وهناك عدة نظريات ومناهج تتفاعل فيما بينها لكي تساعد في دفع عجلة التنمية السياحية، ومن بين هذه النظريات والمناهج نجد النظرية البنائية الوظيفية والمنهج التاريخي.

الكلمات المفتاحية: المنهج التاريخي، النظرية البنائية الوظيفية، التنمية السياحية، سوسيولوجيا السياحة.

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: In fact, tourism phenomenon is a chain in which the past is linked to the present arriving to the future (tourism development), This complicated and complex chain in which many social and historical phenomena revolves, is characterized as being structural and functional, There are several theories

* د. عالية بشيرة: أستاذة محاضرة، تخصص علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور مولاي طاهر بسعيدة. البريد الإلكتروني: [aliabachira@gmail.com]

and approaches that interact with one another to help in pushing the wheel of tourism development forward, Amoy them, we find the structural functional theory and the historical approach.

Keywords: historical approach, structural functional theory, tourism development, sociology of tourism.

مقدمة:

السوسيولوجيا مثلها باقي العلوم الأخرى والتي تزداد تركيزا كلما ازدادت سعة وامتدادا، ويتسع الموضوع باتساع الحقيقة الاجتماعية. ومن خصائص الموضوع السوسيولوجي قدرته على الامتداد والتقليص في آن واحد داخل الجسم الاجتماعي، ولا يمكن النظر إليه بطريقة مباشرة إلا من خلال تطبيقاتها الواقعية، وهذا يجعلنا نستعمل عدة طرق للوصول إلى مجموعة التفسيرات والتحليلات، وهذا هو الهدف من البحث السوسيولوجي، إذ هو: "عملية إظهار العلاقات الاجتماعية من وراء وضعيات اجتماعية معينة"¹. يقوم بحثنا العلمي بدراسة تحليلية نظرية خاصة بعلم الاجتماع السياحي (سوسيولوجيا السياحة)، وذلك من خلال الكشف عن اسهامات المنهج التاريخي والنظرية الوظيفية في التنمية السياحية. ويتطور الحياة البشرية سعى الإنسان إلى الانتقال من مكان إلى آخر لإيجاد صلات وعلاقات بين التجمعات البشرية الأخرى للتعرف عما يزيد عن حاجاته، كما أدى اتصال أفراد المجتمعات المختلفة بعضهم ببعض إلى اكتساب معارف جديدة.² ولهذا سنحاول الإلمام من خلال هذا المقال تقريبا الصورة للباحث حول موضوع السياحة في بعض جوانبها الاجتماعية والثقافية لا موضوع علم الاجتماع السياحي صراحة، بدءا بماهية علم الاجتماع السياحي وأهدافه، ثم الولوج إلى التنمية السياحية، ثم نتحدث عن التنمية السياحية في علاقتها وأهميتها بالمنهج التاريخي والنظرية الوظيفية. وقبل التطرق إلى التفصيل عن هذه العلاقة نطرح الاشكال التالي: فيما تكمن اسهامات المنهج التاريخي والنظرية الوظيفية في التنمية السياحية؟

¹ Touraine (Alain), *Pour la sociologie, les démarches de la sociologie*, Edition de seuil, Paris, 1974, p30.

² محمد الغرب عبد الكريم، *السوسيولوجيا النظرية في السياحة*، دب، دن، 1993، ص 168.

وفي اجابتنا على الإشكالية المطروحة ينبغي لنا معرفة الأسس العلمية للتنمية السياحية وعلاقة علم الاجتماع السياحي بالتنمية السياحية، ثم نتحدث عن أهمية كل من المنهج التاريخي و النظرية الوظيفية في حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ودورهما في التنمية السياحية.

تكمّن أهمية و أهداف هذه الدراسة النظرية التحليلية في البعد النظري الفكري والتحليلي الذي وضع في إطاره، بحيث نهدف من وراء هذه الدراسة الإجابة عما يلي:

- إلى أي مدى يساهم المنهج التاريخي في التنمية السياحية؟
 - وكيف تساهم النظرية البنائية الوظيفية في التنمية السياحية؟
- وإن المنهج الأكثر ملائمة لهذه الدراسة النظرية هو المنهج الوصفي ، وذلك لتحقيق فهما أفضلًا للظاهرة التي ندرسها، لأنه يساعدنا على فحص المناهج والنظريات المختلفة المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة (التنمية السياحية)، ولا يعني أننا نقتصر على مجرد وصف، وإنما يعطي المنهج الظاهرة المدروسة: "صورة تمثيلية للواقع بأدق صورة ممكنة إذ يشكل مرحلة وسيطة بين الملاحظة والتفسير".¹
- لأن التحليل السوسيولوجي للظاهرة لا ينطلق من فراغ وإنما هو خاضع للمعطيات الناجمة عن الوصف الشامل والدقيق الذي يعتمد على الملاحظة والاستمارة، فكل هذه الوسائل: "تزود الباحث بمعطيات تسمح له ببناء تحليل موضوعي وعلمي، خاصة أن المنهج الوصفي التحليلي يهدف للوصول إلى بعض التوقعات الخاصة بالظاهرة أو المشكلة الاجتماعية، وكذا تعميم النتائج إلى حد ما، وقدرة الظاهرة أو المشكلة على تحقيق الانتشار".²
- وقد تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة بغية وصف الواقع الاجتماعي النظري للحصول على معلومات دقيقة تساهم في تحليل الظاهرة، إذ يعد المنهج هو الأنسب للكشف عن ظاهرة السياحة في أدبيات العلوم الاجتماعية والتعرف على المناهج والنظريات التي تواجه حركة التنمية السياحية.

¹ عمار بوحش و محمد الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 129.

² حلي محمد فؤاد وآخرون، المُرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، ط4، 1983، ص 27.

كما تم استخدامه من أجل وصف وتحليل مناهج ونظريات علم الاجتماع وأهميتها اتجاه التنمية السياحية، وهذا طبعا من خلال الاتصال المباشر بمناهج ونظريات علم الاجتماع، باعتبار علم الاجتماع السياحي جاء كثنائية.

أولا: سوسيولوجيا السياحة (علم الاجتماع السياحي): هو أحد فروع علم الاجتماع العام حديث النشأة، يبحث في الجوانب الاجتماعية (أفراد وجماعات) سلبيا أو ايجابيا، و موقف أفراد المجتمع من السياحة، وتأثير السياحة، وتأثير السياحة العالمية على الثقافات المحلية، وقضايا أخرى عديدة تمثل نقاط التماس وتقاطع بين السياحة والمجتمع.¹

1-تعريف علم الاجتماع السياحي: علم الاجتماع السياحي هو علم المجتمع والمؤسسات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، وبتكر الزائرون لأي مجتمع أو منطقة من المناطق علاقات اجتماعية تختلف نمطيا إلى درجة كبيرة عن علاقات الاندماج بين السكان الوطنيين، إن الآثار المطلقة لتجارب السفر على السكان في المناطق الأصلية، كما في أماكن المزارات السياحية ينبغي أن تقرر إلى أي حد يجب أن تشجع المجتمعات السياحية أو لا تشجعها.

هذا و يعتبر علم الاجتماع من أكثر العلوم الاجتماعية التي تمد الدراسات السياحية بنظرياتها، وكذلك فإن أساليب ومناهج البحث العلمي في علم الاجتماع هي الأكثر استخداما في دراسات السياحة، الأمر الذي جعلنا نؤكد أن النظرية الاجتماعية في السياحة هي نظرية علم الاجتماع.²

2-علاقة السياحة بعلم الاجتماع: تمثل السياحة كنشاط إنساني اجتماعي بعلم الاجتماع حيث يتطلب تنشيطها و تسويقها وتنميتها، التعرف على النظم الاجتماعية القائمة وعلاقتها بالأنظمة الاقتصادية والسياسية والقانونية والأخلاقية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات والأسباب التي ساعدت على تكوينها وسلوك الأفراد والجماعات من الجنسيات المختلفة والدوافع ورائها وأهم المشكلات الاجتماعية والعوامل التي تسببت فيها، و علم الاجتماع هو العلم الذي يختص بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية و ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية، كما يعالج الخصائص المشتركة والتأثيرات والعلاقات المتبادلة بين

¹ روبرت ماكوتش وآخرون، بانوراما الحياة السياحية، تر عطة محمد شحاتة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 283.

² محمد الغريب عبد الكريم، مرجع سابق، ص 193.

المجتمعات المتباينة و أيضا يتناول علاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به بقصد الوصول إلى القواعد و القوانين التي يعتمد عليها في تحليل و تفسير الظواهر الاجتماعية و التنبؤ بالمستقبل، و هو ما يمكن الاستعانة به عند رسم السياسات و وضع الخطط للسياحة لكي تبني على حقائق و أسس علمية.¹

تعتبر السياحة ظاهرة اجتماعية عرفها الإنسان منذ القدم، فلقد اعتاد منذ نشأته على الانتقال من مكان إلى آخر لكي يحقق هدفا أو أكثر من أهدافه المعاشة، فقد يبحث عن التنقل بقصد الحصول على المأكّل والمشرب والملبس، وأيضا لكي يجد الأصدقاء والرفاق الذين يبعدون عنه الوحدة ويصدون عنه الخطر.

ثانيا: التنمية السياحية: تتمثل التنمية السياحية في أنها عملية تكامل طبيعي ووظيفي بين عدد من العناصر الطبيعية الموجودة في المنطقة، والمرافق العامة التي يتحتم وجودها ومقابلة احتياجات السائحين.

1- ماهية التنمية السياحية وعواملها: يقصد بالتنمية السياحية ذلك التكامل الطبيعي و الوظيفي بين كافة العناصر الطبيعية و البيئية المتاحة و الموجودة بالإضافة إلى الخدمات و التسييرات و المرافق التي تساعد على إقامة المشروعات و الاستثمارات بهدف الاستغلال الأمثل لعناصر المنتج السياحي.²

تختص عوامل التنمية السياحية باعتبارات تكتيكية و تجارية يجب وضعها في الاعتبار في الفكرة التخطيطية لإنجاح المنتجات السياحية، و جعلها قادرة على المنافسة بكفاءة في السوق العالمي، ولكي تنجح صناعة السياحة يجب أن تكون: قابلة التسويق، لها القدرة على منافسة الأماكن الأخرى، متميزة عن بقية التنمية السياحية الدولية، يمكن تقسيمها إلى منتجات جزئية أو مكونات خاصة، مخصص للربح مشجعة للمستثمرين و مقدمي القروض و مديري السياحة. فالتنمية السياحية يحتل فيها النشاط السياحي الأهمية الأولى، فإنه يجب أن تكون التنمية لمختلف الموارد الزراعية و الصناعية و الاجتماعية بها و ليس مجرد الاهتمام بالعرض و الطلب السياحي فقط.³

¹ ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، عمان، دار زهران، 2008، ص 90.

² فؤاد عبد المنعم البكري، التنمية السياحية، عالم الكتب، 2004، ص 69.

³ محمد منير حجاب، الإعلام السياحي، دار الفجر، القاهرة، 2002، ص ص، 45 - 46.

2- محددات التنمية السياحية ومجالاتها: لإنجاح أي سياسة سياحية يجب

أخذ بعين الاعتبار مجموعة من الإجراءات والاهتمام ببعض الجوانب وبخاصة في الدول النامية وهي: وضع أسعار في متناول السياح.

الموقع الجغرافي: فعلى أساسه تحدد نفقات الرحلة من حيث الأهمية.

الأماكن الأثرية والتاريخية، وطبيعة ومصدر الاستثمار في السوق السياحي.

بالإضافة إلى هذه العوامل نذكر منها عوامل أخرى عامة يجب توفرها لدفع العجلة السياحية لأي بلد والتي نذكر منها: وجود وقت الفراغ، الحالة الاقتصادية للدولة، المستوى الثقافي والمادي العالي للشعب، المواصلات المتطورة، والوضع السياسي المستقر.¹

ولا شك أن التنمية السياحية هي أحد أساليب التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة عن طريق التزام التجانس والتوافق والتنسيق بين مختلف القطاعات الإنتاجية والخدمية لإحراز التقدم، وتحقيق الرخاء للمواطنين ويرتبط كل هدف بالآخر حتى يتم تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة.²

3- التنمية السياحية الاجتماعية والثقافية: إن التنمية السياحية مثلها مثل

أي تنمية أخرى تقوم على أساسيات لا بد من توافرها لكي تكون تنمية حقيقية، ويحدد الدكتور عبد الهادي الجوهري وآخرون هذه الأساسيات التنموية في كتاب دراسات في التنمية الاجتماعية على النحو التالي:

- تغييرا بنائيا كان أو اجتماعيا أو سياحيا أو جزئيا، وهذا يعني إدخال تعديلات على النظم والمنظمات والتنظيمات والإدارة والعلاقات والتعاملات المالية وغيرها.

- دفعة أو دفعات قوية وذلك لتغيير البناء والأبنية الموجودة أو بعضها والتنسيق بين مختلف الجهود.

- إستراتيجية ملائمة وتخطيطا مناسباً، وهذا يتطلب دراسة الواقع والبعد عن الاستراتيجيات الأجنبية ومحاولة الأخذ بالاتجاه الكمي إلى جانب الاتجاه الكيفي. إن الاعتماد على النظرة العلمية في التخطيط لمجال السياحة أمر مطلوب كذلك ويجب علينا أن نضع نصب أعيننا الهدف الذي نسعى إليه ونسأل أنفسنا إذا

¹ مروان محسن السكر، السياحة مضمونها وأهدافها، دار مجدلاوي، عمان، 1994، ص 21.

² وفاء زكي إبراهيم، دور السياحة في التنمية الاجتماعية، دراسة تقويمية للقرى السياحية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006، ص 342 - 343.

كنا نريد التنمية السياحية الشاملة، إذن وجب علينا العمل بكل طاقاتنا للوصول إلى هذا الهدف.¹

و لكي تؤمن عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العملية أو النشاط السياحي لابد أن نذكر الشروط الأساسية على وجه الخصوص وتمثل فيما يلي: توفر الاستقلال السياسي بمعنى إنهاء الوضع الاستعماري، لابد من توفر الاستقلال الاقتصادي، إحداث تحول اجتماعي عميق ينفي إلى إخفاء الطبقات الطفيلية أو المرتبطة بالاستعمار.²

ومما سبق نقول بأن السياحة ترتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا حيث يتفاعل السائحون كأحد مداخلات النظام السياحي مع البيئة الاجتماعية في دولة الزيارة لكي ينتج في النهاية الآثار الاجتماعية المختلفة التي تتمثل في بعض الجوانب الهامة .

الثقافة هي ذلك الكل المعقد يحتوي على المعارف والعقيدة والفن والقواعد العقلية والقضائية، التقاليد والعادات وكل القدرات أو العادات المكتسبة من طرف الفرد بصفته عضوا في المجتمع.³

و التنشئة الثقافية تعني بها اكتساب الطفل مجتمعه أو تذويب الفرد في الثقافة، وذلك كما يحصل عندما يكتسب الطفل عقائد وأخلاقيات وعادات وصفات الثقافة التي يولد فيها، وقد حل مصطلح التنشئة الثقافية تدريجيا محل مصطلح التثقيف من الخارج الذي يعني عملية التغيير النفسي التي تجعل الفرد جزءا من ثقافته ومجتمعه.⁴

يقول (بيار بورديو): "عملنا نعلم أن السياحة غير مستغلة عن المستوى التعليمي لأن اتساع وتوتر دوام الانتقال من أجل السياحة مرتبط بشدة بالمهنة والدخل أي بالمستوى التعليمي".⁵

والسياحة الثقافية حتى وإن كان الدافع الأساسي لعدد كبير من السواح اليوم هو الراحة والاستمتاع، فإن هذا لا يمنع السائح من إثراء الثقافة و ذلك

¹ محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص 43.

² شارل بهيم، التخطيط والتنمية، تر: إسماعيل صبري عبد الله ، دار المعارف، ط 2، القاهرة، ص 71.

³ Sumpe(Joseph) et Hugues (Michel), *Dictionnaire de sociologie*, librairie, la rousse, Paris, 1973, p 75.

⁴ محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص1، 1991، ص 233.

⁵ Bourdieu (Pierre) et Derbal (Alain) , *l'Amour de l'art*, Ed, de minuit, Paris, 1967, p47.

بممارسة عدة أنواع من السياحة تنتهي في مجملها إلى نوع واحد هو السياحة الثقافية وتتمثل هذه الأخيرة في:

- سياحة الشباب: كالرحلات، الدراسة المنظمة من طرف المؤسسات الثقافية أو السياحة من أجل أهداف ثقافية.
- والسياحة الريفية: كالإقامة مع العائلات التي نزورها بالإضافة إلى زيارة القرى السياحية ومحاولة التكيف مع البيئة الثقافية للمنطقة.
- وكذا الرحلات الثقافية: التي يشمل زيارة المتاحف و المدن التاريخية و المواقع التذكارية و المشاركة في النشاطات الثقافية المحلية أو الوطنية أو العالمية.
- و السياحة الدينية: والتي تهدف للعبادة كالحج وزيارة الأولياء أو البقاع المقدسة.¹

وإن **التنمية الثقافية** بذلك للسياحة تعمل على تطوير البناء الاجتماعي الثقافي وكذا تحسين ظروف الحياة الاجتماعية بحيث عن طريق الاحتكاك و عملية التأثير والتأثر بتعلم الإنسان سواء الزائر أو المستقبل أشياء كثيرة تحسن من طريقة عيشه وتكسب بعض الممارسات التي لم يكن يعرفها من قبل، إضافة إلى اكتسابه بعض السلوكات الحضريّة. وكذا التحسين من الوضعية الاجتماعية للجماعة المستقبلية بحيث أنها يكونها مركز اهتمام السواح، فإن السلطات المعنية ستعمل على توفير المرافق الأساسية والضرورية للحياة كتحسين الطرقات، الماء، الفنادق...²

وفي الأخير نقول بأن التنمية الثقافية للسياحة تكون عن طريق نقل التراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة، فالسمات الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن بل والأكثر من ذلك أن ملامح الثقافة و سماتها تنتقل من مجتمع لآخر نتيجة التنمية السياحية عن طريق وسائل الاتصال الثقافي.³

4-العلاقة المتبادلة بين السياحة و التنمية: وتشمل التنمية السياحية جميع

الجوانب المتعلقة بالأنماط المكانية لعرض طلب السائحين، التوزيع الجغرافي للمنتجات السياحية، التدفق والحركة السياحية، تأثيرات السياحة المختلفة.⁴

¹ Toumi (Omar), *Le tourisme culturel dans le grande sud*, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1992, 1994, p 20.

² Sber (Djamila), *Le tourisme culturel a travers les musées d'Alger*, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1990, 1992, p 45.

³ أحمد أبو زيد، *البناء الاجتماعي، المفهوم، الجزء الأول، الدار القومية للنشر، الإسكندرية، 1996، ص 182.*

⁴ محمد الشيراوي عبد المنعم، *واقع وآفاق السياحة في البحرين، بيروت، دار الكنوز الأدبية، 2002، ص ص 37-*

وعندما يرتفع معدل السياحة يتزايد الدخل القومي و تتزايد العمالة و يرتفع مستوى الأفراد ماديا، و يتم القضاء على كثير من المشكلات خاصة البطالة، و عندما يتزايد الدخل القومي تنتعش الدولة و تؤتي التنمية الاقتصادية ثمارها.¹

فالتنمية السياحية ليست مستقلة عن أنواع التنمية الأخرى ولكنها جزء لا يتجزأ عنها، فهي جزء يرتبط بالكل، بحيث ترتبط التنمية السياحية بالتنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والثقافية والبيئية أيضا.

ثالثا: أهمية المنهج التاريخي في دراسة التنمية السياحية: اذا كان المتخصصون في العلوم الاجتماعية والإنسانية يميلون إلى استخدام المنهج التاريخي، فلأنهم يريدون الوصول من خلال ذلك إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية، وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر.

1-تعريف المنهج التاريخي: إن المنهج التاريخي مصطلح مركب من كلمتين هما: المنهج والتاريخ، أما بالنسبة للتاريخ فيمكن تحديده على مستويين هما:

لغة: مشتق من الفعل الماضي (أرخ وأرخ الشيء يعني دونه وكتبه)، وهذا يعني أن التاريخ لغويا مرتبطا بالتأريخ.

اصطلاحا: هو عبارة عن سجل للخبرات السابقة المتعلقة بموضوع معين أو مشكلة معينة، في كافة ميادين الحياة من أجل فهمها فهما جيدا حاضرا والتنبؤ لما ستؤول عليه مستقبلا.²

لقد اختلف في وضع تعريف مانع للتأريخ، فقد قيل: إنه "السجل للماضي أو الأحداث التاريخية" ويعني هذا أن العصور التي سبقت لعلم الانسان، الكتابة لا تعد عصورا تاريخية. ويرى آخرون أنه "وصف الحوادث أو الحقائق الماضية وكتابتها بروح الباحث الناقد عن الحقيقة الكاملة"، ولعله من الأصوب توسيع معنى التأريخ بحيث يشمل النشاطات الإنسانية كلها في العصور الماضية، فتكون إما تأريخ الأحداث السياسية والاجتماعية، ومظاهر الحياة الاقتصادية وأنماط النشاط الثقافي والفني والعلمي، فميزة الإنسانية في التأريخ متكاملة ومتجهة إلى النمو في الروح والمادة معا.

¹ نعيم الظاهر وسراب الياس، مبادئ السياحة، دار المسيرة، عمان، 2001.

² عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2007، ص 156.

وهذا لا يكون التأريخ مجرد قائمة بالأحداث في ترتيبها الزمني متصلة بحياة الملوك والأمراء فقط¹.

والمنهج التاريخي يضع في اعتباره عامل "الزمن" أو "الماضي"، لكنه ليس مجرد تحليل الأحداث أو الشخصيات التاريخية، وإنما هو "دراسة المجتمعات الإنسانية وللظواهر الاجتماعية في جوانبها المختلفة"².

2- أهمية التاريخ في البحث الاجتماعي: تنبع أهمية التاريخ بالنسبة للبحث الاجتماعي من مبدأ مؤداه: أنه يصعب فهم الحاضر دون فهم الماضي بالنسبة للشيء المراد دراسته، وذلك لأن الحاضر هو من نتاج الماضي، فكثيرا ما نشعر بالحاجة إلى الرجوع إلى الماضي لفهم ظاهرة الأخذ بالثأر في القرى والقبائل العربية، أو يجد الباحث أو الاختصاصي الاجتماعي صعوبة في العمل مع جماعات القرويين، أو يقوم بدراسة ظاهرة السلوك في القرية، إلا إذا فهم التطور التاريخي لمجتمع القرية على المستويين المحلي والقومي، ويسرله هذا الفهم الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، فيما يخطط من مشروعات أو يستهدف تحقيقه من أهداف.

هذا ومن أهم الممثلين والمدافعين عن المفهوم التاريخي العلامة (ابن خلدون) منشئ علم الاجتماع، وكذلك كل من (فيكون، أوجست كونت، وسان سيمون) والحقيقة التي تمثل أماننا أنه ينذر أن يخلو بحث اجتماعي من لمحة تاريخية عن الموضوع الذي يدرس، سواء كان مجتمعا أو نظاما اجتماعيا أو مشكلة اجتماعية، إلا أن المنهج التاريخي يقرر أن البحث الاجتماعي بأكمله يدخل في الإطار التاريخي³.

3-رواد المنهج التاريخي: يتمثل رواد المنهج التاريخي في:

ابن خلدون: المفكر ابن خلدون في مقدمته حينما ربط الأحداث التاريخية الاجتماعية ببعض وربط العلة بالمعلول.

لويس مورجان: الذي درس تطور المجتمع الإنساني من الحالة البدائية المتوحشة خلال المرحلة الوسطى إلى المرحلة البربرية ثم المدينة الحديثة.

¹ محمد علي عبد الكريم الرديني و شلتاغ عبود، منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص 63.

² محمد زكريا عناني وسعيدة محمد رمضان، في مناهج البحث وتحقيق النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص 16.

³ غريب عبد السميع غريب، مرجع سابق، ص ص 138-140.

توماس هوبز: الذي استخدم هذا المنهج في تفسير المجتمع الإنساني، إذ قال أن المجتمعات الإنسانية قبل أن تصل إلى مرحلة الحياة الاجتماعية مرت بمراحل كانت تعيش فيها على الطبيعة.

أوغست كونت: الذي درس هذا المنهج في تطور المجتمع الإنساني من خلال ثلاث مراحل وهي: المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية. **هربرت سبنسر:** وكذلك أصحاب المدرسة التطورية الذي قال: أن المجتمع يتطور من البسيط إلى المركب...، وطالب علماء الاجتماع بالاعتماد على المنهج التاريخي لدراسة الظواهر الاجتماعية في حالتها الدينامية.

كما يظهر استخدام المنهج التاريخي لدى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا واضحا في دراساتهم للثقافة، وتقوم هذه العملية على أساس دراسة وتطبيق الخصائص الثقافية وتتبعها وأثر التتابع الزمني عليها.¹ **ابن خلدون:** المفكر ابن خلدون في مقدمته حينما ربط الأحداث التاريخية الاجتماعية ببعض وربط العلة بالمعلول.

لويس مورجان: الذي درس تطور المجتمع الإنساني من الحالة البدائية المتوحشة خلال المرحلة الوسطى إلى المرحلة البربرية ثم المدينة الحديثة.

توماس هوبز: الذي استخدم هذا المنهج في تفسير المجتمع الإنساني، إذ قال أن المجتمعات الإنسانية قبل أن تصل إلى مرحلة الحياة الاجتماعية مرت بمراحل كانت تعيش فيها على الطبيعة.

أوغست كونت: الذي درس هذا المنهج في تطور المجتمع الإنساني من خلال ثلاث مراحل وهي: المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية. **هربرت سبنسر:** وكذلك أصحاب المدرسة التطورية الذي قال: أن المجتمع يتطور من البسيط إلى المركب...، وطالب علماء الاجتماع بالاعتماد على المنهج التاريخي لدراسة الظواهر الاجتماعية في حالتها الدينامية.

كما يظهر استخدام المنهج التاريخي لدى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا واضحا في دراساتهم للثقافة، وتقوم هذه العملية على أساس دراسة وتطبيق الخصائص الثقافية وتتبعها وأثر التتابع الزمني عليها.²

¹ أسامة خيري، مناهج البحث العلمي، دار الراية، الأردن، عمان، ط1، 2016، ص ص 194-195.

² نفسه، ص ص 194-195.

يبدو أن أكثر حقول علم الاجتماع اهتماما بالمنهج التاريخي هو علم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع الثقافي، وعلم اجتماع المعرفة، وحقل التغير الاجتماعي والفكر الاجتماعي، لكن هذا لا يعني أن باقي فروع علم الاجتماع تستغني كليا عنه، بل إن نوع الظاهرة المدروسة تفرض على الباحث استخدام نوع الطريقة المنهجية.

4- عرض موجز لسيروية تاريخ السياحة: تمتد السياحة عبر التاريخ و تعكس نشاطا إنسانيا يمكن تتبعه على مر العصور، فقد تعلم الانسان التنقل من مكان لآخر لممارسة مهنة الرعي، و عندما تطورت الجماعات الإنسانية و أصبحت تنتج أكثر من حاجتها من السلع ظهرت مبادلة السلع بين هذه الجماعات و أصبح التجار يقومون بالتنقل بين الأسواق و المراكز التجارية لتبادل السلع التي عرفت في الماضي. فقد كانت التجارة بعد الرعي الباعث إلى التنقل و السفر منذ القدم، و يمكن القول أن التجار كتجار المدن الإيطالية و الفينيقيين كانوا الرواد الأوائل للسائحين في العصر الحديث، و ترك بعضهم أوصافا لرحلاتهم البرية و البحرية التي كانوا يقومون بها.¹

و كان الحج إلى الأماكن المقدسة بعد ذلك يمثل أحد الروافد للكثير من الأفراد في السفر و مواجهة الأخطار في رحلاتهم الطويلة، و ترك بعضهم أوصافا لرحلاتهم تعد وثائق هامة في الإرشاد السياحي.

و من جهة أخرى كان سفر العلماء و المثقفين الرحالة لدراسة الآراء و النظم لدى الشعوب أحد الدوافع للسفر، و قد شجعت بعض الدول مثل بريطانيا خلال العصور الوسطى علمائها للسفر إلى الجامعات المختلفة في العالم لهذا الغرض، ثم اتجهت الأسر الثرية فيما بعد ذلك إلى إرسال أبنائهم في رحلات طويلة إلى أوروبا من أجل تلقي العلم.

و عندما حل القرن التاسع عشر ظهر السفر بغرض المشاهدة و بدأت طائفة من الناس يفتدون إلى العواصم الكبرى لمشاهدة القصور الملكية و ارتياد المراكز الثقافية الهامة، و قد تزايد عدد هؤلاء تدريجيا مما جعل فرنسا تصدر أول دليل سياحي عام 1672م، يساعد القادمين إليها للتعرف على آثارها و وصف الطرق إلى باريس و يتحدث هذا الدليل عن الرحلة الصغيرة التي تشمل الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا، و أيضا الرحلة الكبيرة التي تشمل الجزء الجنوبي الشرقي لفرنسا.

¹ نبيل الروبي، نظرية السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص ص 15-18.

وإلى جانب كل ما تقدم كان هناك طائفة من الأفراد يقومون بالأسفار من أجل المغامرة وحب الاستطلاع أو المصلحة، وقد اشتهرت بعض أسمائهم كمكتشفين أمثال: كريستوفر كولومبس وفاسكو دي جاما.

ويلاحظ أن في تلك الرحلة السفر أي قبل الثورة الصناعية ، أي قبل القرن الثامن عشر كان يقتصر على الأغراض الاقتصادية والدينية والمهام الرسمية وبصفة عامة كان يقوم به الطبقة المثقفة.

ومع تطور نظام الصناعة في القرن التاسع عشر ووجود سكك حديدية ظهر النمو السياحي وبصورة كبيرة، وظهرت فكرة تمضية وقت الفراغ وهي في الأساس تمثل جوهر العمل السياحي.

ومع تطور صناعة السيارات تطورت تطورا كبيرا وأصبح السفر مفضلا بها وسهلا.

ومع العصر الحديث ظهر السفر والسياحة عبر الجو، حيث أصبحت السرعة ذات أهمية قصوى، وظهرت شركات عملاقة في النقل الجوي وامتد نشاطها إلى أنشطة سياحية أخرى لتحقيق التكامل الرأسي في المجال السياحي.

ويعتبر مفهوم التنمية السياحية بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت حركة السفر الدولية بشكل سريع وكثيف، وتزايدت أعداد السياح، إلى جانب تنوع أشكال السياحة والاستجمام والتخطيط التنموي السياحي نوع من أنواع التخطيط التنموي الذي هو عبارة عن مجموعة من الإجراءات المرحلية المقصودة والمنظمة التي تهدف إلى تحقيق استغلال أمثل لعناصر الجذب السياحي المتاح والكامن لأقصى درجات المنفعة، مع متابعة و ضبط لهذا الاستغلال لإبقائه ضمن دائرة المرغوب والمنشود ومنع حدوث أي نتائج أو آثار سلبية ناجمة عنه.¹

5-مساهمة المنهج التاريخي في التنمية السياحية: ولكي يساهم المنهج التاريخي

من منظور الرؤية السوسولوجية و الانثروبولوجية للتنمية السياحية، نجد أن الدراسة في الانثروبولوجيا والاجتماعية تعتمد على المنهج التاريخي للكشف عن تاريخ الثقافة أو المجتمع، كما تعتمد على هذا المنهج لتكشف عن طبيعة البحث الأركيولوجي الذي يمدنا بالأدلة المباشرة لبناء الأحداث التاريخية.

¹فؤاد عبد المنعم البكري: *التنمية السياحية في مصر والعالم العربي*، علاء الكتاب، ط1، 2004، ص ص 124-

و يرجع الاهتمام بالبحث عن الأصول التاريخية للثقافة و انشاء الملامح الثقافية إلى القرن التاسع عشر و هو اهتمام ناشئ من تصور العلماء للثقافة على انها حسيطة النشاط و قبولهم بالتالي لفكرة استمرار الثقافة عبر الزمن.

و قد اضطر العلماء إزاء النقص الشديد في المعلومات الاثنوجرافية المؤكدة عن ماضي تلك الثقافات إلى التاريخ الظني أو التخميني الأمر الذي يقلل من أهميته المادية العلمية أو القيمة العلمية لدراسته.

كذلك استرعى انتباه العلماء قدرة تلك الثقافات على الانتشار من مجتمع إلى آخر و انتقالها عبر الحدود السياسية و ما يوجد بالتالي من تشابه في السمات الثقافية لدى كثير من المجتمعات المتباعدة في المكان و التي تؤلف وحدات سياسية بل و سلالية و لغوية متميزة، و من هنا وقف علماء القرن التاسع عشر على موقفين متميزين: الموقف الأول: هو الذي يرد ذلك التشابه في السمات الثقافية بين المجتمعات المختلفة إلى تشابه الظروف الطبيعية في تلك المجتمعات، و ذلك على أساس أنهم كانوا يسلمون بتشابه الفكر الإنساني في كل زمان و مكان و نتيجة لتشابه التكوين العقلي عند جميع البشر، و الموقف الثاني: هو الذي يرد ذلك التشابه الثقافي إلى انتشار السمات الثقافية من مجتمع إلى آخر نتيجة لاتصال هذه المجتمعات ببعضها البعض عن طريق الحروب و الغزوات و التجارة و الهجرة.¹

فالمنهج التاريخي يعمل على إعادة تركيب الثقافة الإنسانية و رسم المراحل التي مرت بها خلال تاريخها و تطورها، و لذلك قمت باستخدام المنهج التاريخي للتعرف على المراحل التي مرت بها السياحة حتى تطورت و وصلت إلى مرحلة الاهتمام بها كأهم صناعة من الصناعات الموجودة في المجتمعات و ضرورة تنميتها و الاهتمام بها.

رابعا: أهمية النظرية الوظيفية في دراسة التنمية السياحية.

1-تعريف النظرية البنائية الوظيفية: تعد هذه النظرية من المدارس العملاقة في النظرية الاجتماعية التقليدية و المعاصرة و أسهمت إسهاما ايجابيا في إثراء و تطور النظرية الاجتماعية بما قدمته من فروض و قوانين علمية حول المجتمع، و ما قدمته من أدوات تحليل للواقع الاجتماعي.²

¹ فاروق حسن مصطفى و محمد عباس إبراهيم، المناهج الانثروبولوجية و تطبيقاتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010، ص ص 232-233.

² علي الحوات، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، منشورات شركة ألجا، فالتا، 1998، ص 143.

كما تعد هذه النظرية كأحد الاتجاهات الرئيسة في علم الاجتماع المعاصر، وهي تستخدم كإطار لفهم موضوعات الأسرة، التربية، المجتمع، السياحة...¹ ومعنى الوظيفية سؤال يصعب الإجابة عليه لأن اصطلاح الوظيفية والوظيفة Fonctionnel، Fonction في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية يتضمنان معان مختلفة ومتباعدة.²

2- النظرية البنائية الوظيفية في علم الاجتماع وأهم روادها: النظرية البنائية

الوظيفية هي نظرية تفسيرية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وتعني أن البناء الاجتماعي هو ذلك الكل المترابط والمتكون من مجموعة العناصر والأنساق التي تربطها جملة من العلاقات حيث أن عنصر أو نسق وظيفة يؤديها، وأي خلل يصيب أو نسقا معيناً يؤدي إلى حدوث خلل في البناء الكلي من حيث تركيبته الوظيفية.³

بحيث تنطلق التنمية السياحية من السياحة كأسرة -قطاع- كبناء متكون من مجموعة من العناصر وهي أفراد الأسرة -سياح- في تفاعلهم بالاتفاق والتعاون من أجل خلق حالة من التناسق الاجتماعي، وبداخل هذا الكل توجد عناصر لها وظائف مميزة لضمان استمرارية الكل وهو البناء.

ويسود الاتجاه الوظيفي فكرتان أساسيتان هما: فكرة ضرورة دراسة الوحدات الكبرى في المجتمع، وفكرة ضرورة التركيز على وظيفة الوحدات الصغرى في المجتمع.

وقد حدد (نيقولا تيماشيف) مفهوم الاتجاه الوظيفي ولخص على حد تعبيره القضية الوظيفية التي تدور حولها كتابات الوظيفيين على النحو التالي: "إن النسق الاجتماعي يمثل نسقا حقيقيا تؤدي أجزاؤه فيه وظائف أساسية لتأكيد الكل وتثبيتته وأحيانا لاتساع نطاقه وتقويته، و من ثم تصبح الأجزاء متساندة ومتكاملة على نحو ما".⁴

وبالتالي نلاحظ بأن النظرية الوظيفية تهتم بترتيب الأجزاء وعلاقة أحدهما بالآخر، فتلك هي المحددة للسلوك الذي يسير في الحدود التي يرسمها النظام ويتطابق

¹ سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1999، ص 150.

² نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، تر: محمود عودة وآخرون، مر: محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1999، ص 320.

³ محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية: الوظيفة وأشكالها وإمكاناتها التصورية والمنهجية في دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص 45.

⁴ نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص 320.

معه، ولكي نصل إلى فهم المجتمع فلا بد من دراسة أجزاء ذلك المجتمع، وذلك من خلال إسهام أجزاء المجتمع واتصالها بالمجتمع ككل.

وكما وضعنا فإن السياحة تشكل الوظيفة التي يقوم الفاعلون، وهذه الوظيفة لاقت مشاكل ومعوقات في التنمية الاجتماعية، ومن ثم فنحن نحاول بذلك السعي لفهم الوظائف التي تغطيها هذه المعوقات سواء كانت وظيفة تنمية اجتماعية وثقافية، اقتصادية، أم بيئية.

ولهذا ما ارتأينا إلا أن تندرج أهمية التنمية السياحية في إطار هذه المقاربة النظرية السوسيولوجية حيث استفادتنا من هذه النظرية تكون في الإحاطة بكافة نواحي الحياة الاجتماعية في مجتمع البحث، وذلك من خلال المشاركة في وقائع الحياة اليومية بمجتمع البحث، والإلمام بما يجري في تلك المواقع السياحية من علاقات اجتماعية ومعوقات تنموية.

وهناك عدة شخصيات بارزة قدمت الأفضل للنظرية الوظيفية و شكلت معالمه، سواء في شكله التقليدي أم المعاصر في القرن العشرين، ومن هذه النماذج والشخصيات نجد الفرنسي (إميل دوركايم) 1858-1871 ونظريته هي في طبيعة الظاهرة الاجتماعية و بنائها و منطقتها الاجتماعي، و النموذج الثاني تشكله نظرية (ماكس فيبر) الألماني 1864-1920 في الفعل الاجتماعي وتجريده في شكل نماذج مثالية تعتبر إطارا مرجعيا للفعل والسلوك، و النموذج الثالث تمثله نظرية الأمريكي (تالكوت بارسونز) 1929-1982 في الفعل الذي يتحول الى نظام أو نسق اجتماعي بفعل التوتر المعياري بين أفراد المجتمع.

هذا بالإضافة إلى أعمال (جونسون) الذي يرى بأن النسق الاجتماعي يتكون من الأفعال المترابطة للناس، و بناء النسق أو النظام عبارة عن الانتظام و التكرار في هذه الأفعال، و أعمال (رادكليف براون) الذي يذكر بأنه إذا لاحظنا مجتمعنا صغيرا نلاحظ وجود بناء اجتماعي، فالأفراد "الوحدات الأساسية" يرتبطون عن طريق مجموعة من العلاقات الاجتماعية، و استمرار البناء الاجتماعي مثل البناء العضوي لا يتحطم بالتغيرات التي تحدث للوحدات، لأن استمرار البناء يبقى عن طريق عملية الحياة، و الحياة الاجتماعية للمجتمع هنا تعرف بأنها وظيفة البناء الاجتماعي، و تعد فكرة الوظيفة و البناء وجهين لشيء واحد لأنهما مرتبطان.¹

¹ علي الحوات، مرجع سابق، ص 93.

فتساعد هذه المقارنة النظرية بذلك على إدراك الوظيفة و الدور الذي تؤديه النظرية البنائية الوظيفية في التنمية السياحية، فهو الأنسب أيضا لكشف علاقات التفاعل الوظيفي و تحليله بين مكونات المناطق السياحية و عناصرها من ناحية، ويساهم في تحليل العلاقات الوظيفية بين أفراد المناطق السياحية من ناحية أخرى.

3- النظرية البنائية الوظيفية في الأنثروبولوجيا و أهم روادها: أما في حقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية النظرية البنائية الوظيفية تدرس العلاقات أو الظواهر الاجتماعية في كل المجتمعات الإنسانية، لا المجتمعات البدائية فقط.

فالأنثروبولوجيا أو علم الإنسان: " تهتم ببيان أوجه النشاط الإنساني في عصور قديمة، أو مجتمعات معزولة صغيرة نسبيا، و هي باعتبارها تهتم أيضا بدراسة الحضارة البشرية و التطور المادي و الثقافي للإنسان"¹

هذا بالإضافة إلى أن المدخل الأنثروبولوجي يهتم بدراسة أي نشاط إنساني لا يمكن أن ندرسه بعيدا عن الكل الذي يتضمن ذلك السلوك، حيث أن المدخل الأنثروبولوجي يركز على النظرية الوظيفية التي تعني بالتبادل بين الظواهر الاجتماعية، و التي ترى المجتمع وحدة كاملة الأجزاء تتبادل داخلها التأثيرات كما وضحنا سابقا.

أما فيما يخص عملية التنمية فإن الأنثروبولوجيا هي دراسة التغير الاجتماعي المخطط، و يجب دائما الاهتمام بالدور الذي تلعبه الأنثروبولوجيا فالاستفسارات الرئيسية التي تبحث الأنثروبولوجيا عن إجابات لها، و علاقتها بالتنمية و التغير الاجتماعي.

فعندما يقوم باحث أنثروبولوجي بدراسة نظام معين يحاول أن يدرك العلاقات التي تقوم بين الناس داخل ذلك النظام، و العلاقات القائمة بين ذلك النظام والنظم الاجتماعية الأخرى الموجودة، بالإضافة إلى تحليل النظام إلى مكوناته وعناصره الاجتماعية، و يبين أيضا الأسباب الاجتماعية التي دفعت إلى قيام ذلك النظام والعلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد الداخلين في ذلك النظام.²

فعلى حسب العلماء الأنثروبولوجيون نجد (جرايرون) Graburne في عام 1983 يذكر أن الأنثروبولوجيا عند دراسة السياحة تركز على: آثار السياحة، الضيافة الشعبية، السياح أنفسهم، العلاقة بين السياح و المحليين، أما (كوهين) عام 1984

¹ محمد أحمد بيومي، أسس و موضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 40.

² فوزي رضوان العربي، المدخل في الأنثروبولوجيا التطبيقية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، دت، ص ص 19-32.

فيذكر أن رؤية علم الاجتماع للسياحة تحدد في ثمانية وجهات نظر للسياحة وهي: السياحة و الضيافة على أساس تجاري، السياحة و السفر الديمقراطي، السياحة وكأنها نشاط حديث لقضاء وقت الفراغ، هي شيء حديث مختلف عن الرحلات التقليدية للحج و المراسيم العقائدية، تعبر عن موضوعات ثقافية أساسية، عملية تبادل ثقافي، نموذج للعلاقات الفرعية، نوع جديد من الاعمار، بالإضافة إلى أنه اقترح للبحث الاجتماعي في السياحة أربع اتجاهات أساسية وهي: السياحة ذاتها، العلاقة بين السياح و المحليين، البناء الوظيفي للنظام السياحي، آثار السياحة.¹

ومن ذلك يمكننا أن نوضح أهمية دراسة الباحث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي للسياحة، فالسياحة في مجملها علاقات اجتماعية وخدمات متشابكة ومبنية كل منها على الآخر، ولذلك نجد الباحث الأنثروبولوجي يستطيع بما لديه من منهج وعلم أن يقوم بتحليل تلك العلاقات الاجتماعية التي دفعت إلى القيام بذلك النشاط والعلاقات الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد الداخلين في ذلك النظام، وكيفية تطوير أو تحسين تلك الخدمات بما يعود بالنفع على المجتمع.

وبهذا يبرز دور الأنثروبولوجيا و السوسيولوجيا في دراسة السياحة و دورها في التخطيط الأفضل لتلك الظاهرة الاجتماعية المتعلقة أساسا بالإنسان، فالسياحة لا يمكن أن تقوم إلا بوجود الإنسان و من خلال المجتمع.

4-أهمية النظرية البنائية الوظيفية في التنمية السياحية: عندما يقوم باحث

أنثروبولوجي بدراسة نظام معين يحاول أن يدرك العلاقات التي تقوم بين الناس داخل ذلك النظام، و العلاقات القائمة بين ذلك النظام و النظم الاجتماعية الأخرى الموجودة بالإضافة إلى تحليل النظام إلى مكوناته و عناصره الاجتماعية، و يبين أيضا الأسباب الاجتماعية التي دفعت إلى قيام ذلك النظام و العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد الداخلين في ذلك النظام.²

¹ وفاء زكي إبراهيم، مرجع سابق، ص ص 14-15.

² فوزي رضوان العربي، مدخل في الأنثروبولوجيا التطبيقية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، دت، ص ص 19-32.

لقد استخدم المدخل الوظيفي في موضوع الممارسة السياحية لإظهار الوظائف التي تحققها السياحة في ثقافة الأفراد وعلاقاتهم ودورها في إشباع حاجات الأفراد سواء الحاجات الأساسية أو الحاجات المشتقة أو الحاجات التكاملية.*
و للمدخل الوظيفي مفاهيم أساسية تتمثل في: مفهوم البناء، الوظيفة، الدور، بناء المجتمع و توازنه، و تفاعل أنساقه المختلفة في إطار النظم الاجتماعية الشاملة للمجتمع.¹

وأهمية النظرية البنائية الوظيفية في التنمية السياحية ترجع للوظائف العديدة التي تحققها، ويمكن تقسيمها إلى وظائف اقتصادية، وظائف بيئية، وظائف اجتماعية و وظائف ثقافية. كما أن الممارسة السياحية تعمل على مجموعة من الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ألا وهي:

- إشباع الحاجات الأساسية لغالبية أفراد المجتمع.
- تحقيق التماسك؛ بمعنى تذويب الفوارق بين الطبقات الموجودة في المجتمع بهدف القضاء على الصراع والتنازع بينها.
- تحقيق التكامل بين الجوانب الاقتصادية و البيئية، الاجتماعية و الثقافية للمجتمع، حتى لا يطغى جانب على الآخر.²

ففي السنوات الأولى من القرن العشرين قام الأنثربولوجيون الأمريكيون بمحاولة وصف الثقافات الوطنية الأمريكية و التي بدأت بتغيير نتيجة الاحتكاك الثقافي بالمغامرين الأوروبيين الذين غزوا أمريكا و كونوا مجتمعات أوربية أمريكية جديدة، و في نفس الوقت تقريبا قام (برونسلاف مالينوفسكي) بدراسته الحقلية لجزء من غينيا الجديدة، و هذا المجتمع له ثقافته التقليدية الحية فاستطاع (مالينوفسكي) أن يتوصل حينها للنظرية الوظيفية (1944م).

و الفكرة المركزية للوظيفة تقوم على ان الثقافة تحقق حاجات الافراد، و في تحليل (مالينوفسكي) إن الثقافة تنمو من حاجات الانسان الثلاثة: (الأساسية،

* لقد حدد برونسلاف مالينوفسكي أن لكل جانب من جوانب الثقافة أو أي نظام وظيفة وفقا لهذه الحاجات الثلاثة، و للاستزادة أنظر: محمد عباس إبراهيم و فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

¹ علي الحوات، مرجع سابق، ص 93.

² محمد عباس إبراهيم، السياحة و الموروث الحضاري: دراسة في أنثربولوجيا السياحة، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2013، ص ص 243-235.

المشتقة، التكاملية)، و الحاجات الأساسية هي التي تشبع لكي يبقى الانسان و يتفق فيها مع الحيوانات الأخرى كالحاجة على المأوى و الحاجة للحماية الطبيعية، والحاجات المشتقة هي التي تتعلق بالمشكلات الخاصة بالمتعة التي يجب على الجنس الإنساني حلها حتى يحقق الحاجات الأساسية مثل تقسيم العمل، توزيع الغذاء، الدفاع عن النفس، تنظيم إعادة الإنتاج، الضبط الاجتماعي، أما الحاجات التكاملية فهي الحاجات الإنسانية للأمن السيكولوجي، التوافق الاجتماعي، و الأشياء التي تتعلق بالانساق المعرفية في الحياة.

فقد حدد (مالينوفسكي) أن لكل جانب من جوانب الثقافة أو أي نظام وظيفة وفق لهذه الحاجات الثلاثة.

و نشر (مالينوفسكي) في كتابه عن القيم عن سكان التروبرياند بعد دراسة حقلية استمرت أربع سنوات، و أشار إلى نظام الكولا الموجودة بداخل تلك الجزر، وأشار على كونه انه ليس نشاط اقتصادي كنظام للتجارة في المجتمعات الحديثة، وذلك لأن علاقات القرابة و الصداقة تلعب دورا فيه.

فللهولة الأولى نظرا إلى ان نظام الكولا يلعب دورا اقتصاديا فقط و يحقق حاجاتهم الاقتصادية فقط، ولكن ذلك النظام يلعب دورا سيكولوجيا هاما، حيث ان المشتركين فيه يحصلون على المكانة من خلال تصرفاتهم و سلوكهم أثناء عملية التبادل، فهو يتيح لهم فرصة ابراز ثروتهم و علاقاتهم ببعضهم.¹

و لذلك استخدمت النظرية الوظيفية في موضوع التنمية السياحية لإظهار الوظائف التي تحققها السياحة في ثقافة الأفراد و علاقاتهم، و دورها في اشباع حاجات الأفراد سواء الأساسية أو المشتقة أو التكاملية.

فالسياحة إذن دعامة أساسية من دعائم التنمية الشاملة لاحتوائها ولاشتمالها على عدة أنشطة تتفاعل مع غيرها من العوامل الأخرى، فهي الإمداد بالتسهيلات و الخدمات أو الارتقاء بها لمقابلة كافة احتياجات السائحين، و هي تأخذ عدة أشكال متباينة.

فالتنمية السياحية هدفها تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و البيئية في الدولة و هي التي تعبر عن مختلف البرامج التي تهدف لتحقيق الزيادة المستمرة المتوازنة في الموارد السياحية، و تعميق و ترشيد الإنتاجية في القطاع السياحي.²

¹ محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص ص 233-234.

² أحمد الجلال، السياحة المتواصلة البيئية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002، ص ص 43 - 44.

لذا يجب أن يمتد مفهوم التنمية السياحية ليشمل تنمية كل من العرض والطلب السياحي لتحقيق الوفاق بينهما لإشباع رغبات السائحين، و الوصول إلى أهداف موضوعية لتكون معيارا لقياس درجات التنمية السياحية.

لأن التنمية السياحية تمثل عملية تكامل طبيعي و وظيفي بين عدد من العناصر الطبيعية الموجودة في المنطقة، و المرافق العامة التي يتحتم وجودها كأساس لإقامة الاستثمارات السياحية ومقابلة احتياجات السائحين.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه في هذا المقال يمكننا القول بأن تعريف علم الاجتماع السياحي هو من قلة التعريفات التي قدمت لهذا المصطلح العلمي الحديث النشأة.

و في الواقع لا يمكن فصل التنمية السياحية عن مناهج و نظريات البحث في علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا، بل إن هذا الأخير يمكن اعتباره جزء من الأول يكمله ولا يلغيه، لذا يرى البعض أن علم الاجتماع السياحي هو شبه اختصاص وليس اختصاصا كاملا، و هذا بالرغم من تداخل عدة مجالات بحث كالمجالات الاقتصادية الأنثروبولوجية، المجالات النفسية الاجتماعية و الثقافية.

فالتنمية السياحية عملية مركبة متشعبة تضم عدة عناصر متصلة ببعضها ومتداخلة بعضها مع البعض، تقوم على محاولة علمية و تطبيقية للوصول إلى الاستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج السياحي الأولية من إطار طبيعي و إطار حضاري و المرافق الأساسية العامة و السياحية من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي و ربط كل ذلك بعناصر مختلفة اقتصادية و اجتماعية و ثقافية و بيئية.

و في ضوء ما تم عرضه يمكن القول بأن علم الاجتماع السياحي هو أحد فروع علم الاجتماع العام حديث النشأة، يهتم ببحث الجوانب الاجتماعية و الثقافية المرتبطة بالظاهرة السياحية بوصفها ظاهرة تتصل بسلوك إنساني اجتماعي، كما يبحث هذا العلم في الجوانب المختلفة التي ترتبط بالسياحة بوصفها ظاهرة اجتماعية، فالتقاطعات الاجتماعية و الثقافية بين السياحة و المجتمع هي المحاور الأساسية التي يقوم عليها علم الاجتماع السياحي.

المصادر والمراجع:

1. Touraine (Alain), Pour la sociologie, les démarches de la sociologie, Edition de seuil, Paris, 1974.
2. محمد الغريب عبد الكريم، السوسيولوجيا النظرية في السياحة، دب، دن، 1993.
3. عمار بوحش و محمد الذنبيات، مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
4. حلبي محمد فؤاد وآخرون، المرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، ط4، 1983.
5. روبرت ماكوتش وآخرون، بانوراما الحياة السياحية، تر عطية محمد شحاتة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
6. ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، عمان، دار زهران، 2008.
7. فؤاد عبد المنعم البكري، التنمية السياحية، عالم الكتب، 2004.
8. محمد منير حجاب، الإعلام السياحي، دار الفجر، القاهرة، 2002.
9. مروان محسن السكر، السياحة مضمونها وأهدافها، دار مجدلاوي، عمان، 1994.
10. وفاء زكي إبراهيم، دور السياحة في التنمية الاجتماعية، دراسة تقويمية للقرى السياحية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006.
11. شارل بتهيم، التخطيط و التنمية، تر: إسماعيل صبري عبد الله ، دار المعارف، ط 2، القاهرة.
12. Sumpe(Joseph) et Hugues (Michel), Dictionnaire de sociologie, librairie, la rousse, Paris, 1973.
13. محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص1، 1991.
14. Bourdieu (Pierre) et Derbal (Alain) , l'Amour de l'art, Ed, de minuit, Paris, 1967.
15. Toumi (Omar), Le tourisme culturel dans le grande sud, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1992, 1994.
16. Sber (Djamila), Le tourisme culturel a travers les musées d'Alger, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1990, 1992.
17. أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، المفهوم، الجزء الأول، الدار القومية للنشر، الإسكندرية، 1996.
18. محمد الشيراوي عبد المنعم، واقع و آفاق السياحة في البحرين، بيروت، دار الكنوز الأدبية، 2002.
19. نعيم الظاهر وسراب الياس، مبادئ السياحة، دار المسيرة، عمان، 2001.
20. عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2007.

21. محمد علي عبد الكريم الرديني و شلتاغ عبود، منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى، الجزائر، 2010.
22. محمد زكريا عناني و سعيدة محمد رمضان، في مناهج البحث وتحقيق النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.
23. أسامة خيري، مناهج البحث العلمي، دار الراية، الأردن، عمان، ط1، 2016.
24. نبيل الروبي، نظرية السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2005.
25. فؤاد عبد المنعم البكري: التنمية السياحية في مصر و العالم العربي، علاء الكتاب، ط1، 2004.
26. فاروق حسن مصطفى و محمد عباس إبراهيم، المناهج الانثروبولوجية و تطبيقاتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010.
27. علي الحوات، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، منشورات شركة ألجا، فالتا، 1998.
28. سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1999.
29. نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها و تطورها، تر: محمود عودة وآخرون، مر: محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الأزريطية، 1999.
30. محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفة و الوظيفة و أشكالها و إمكاناتها التصويرية والمنهجية في دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1982.
31. محمد أحمد بيومي، أمس و موضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
32. فوزي رضوان العربي، المدخل في الأنثروبولوجيا التطبيقية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، دت.
33. فوزي رضوان العربي، مدخل في الأنثروبولوجيا التطبيقية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، دت.
34. محمد عباس إبراهيم و فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
35. محمد عباس إبراهيم، السياحة و الموروث الحضاري: دراسة في أنثروبولوجيا السياحة، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2013.
36. أحمد الجلال، السياحة المتواصلة البيئية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002.